تفسير إبن كثير

فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ

وقوله : (فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة) أي : وهم غافلون عنها ، (فقد جاء أشراطها) أي : أمارات اقترابها ، كقوله تعالى : (هذا نذير من النذر الأولى أزفت الآزفة) [النجم : 56 ، 57] ، وكقوله : (اقتربت الساعة وانشق القمر) [القمر : 1] وقوله : (أتى أمر الله فلا تستعجلوه) [النحل : 1] ، وقوله : (اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون) [الأنبياء : 1] فبعثة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أشراط الساعة ; لأنه خاتم الرسل الذي أكمل الله به الدين ، وأقام به الحجة على العالمين . وقد أخبر - صلوات الله وسلامه عليه - بأمارات الساعة وأشراطها ، وأبان عن ذلك وأوضحه بما لم يؤته نبي قبله ، كما هو مبسوط في موضعه .وقال الحسن البصري : بعثة محمد - صلى الله عليه وسلم - من أشراط الساعة . وهو كما قال ; ولهذا جاء في أسمائه عليه السلام ، أنه نبي التوبة ، ونبي الملحمة ، والحاشر الذي يحشر الناس على قدميه ،

والعاقب الذي ليس بعده نبي .وقال البخاري : حدثنا أحمد بن المقدام ، حدثنا فضيل بن سليمان ، حدثنا أبو حازم ، حدثنا سهل بن سعد قال : رأيت رسول االله - صلى االله عليه وسلم - قال بأصبعيه هكذا ، بالوسطى والتي تليها : " بعثت أنا والساعة كهاتين " .ثم قال تعالى : (فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم) أي : فكيف للكافرين بالتذكر إذا جاءتهم القيامة ، حيث لا ينفعهم ذلك ، كقوله تعالى : (يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى) [الفجر : 23] ،(وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد) [سبأ : 52] .